سيرة ملك

العام الثالث والأربعون بعد الثلاث المائة والألف للهجرة النبوية المباركة هذا هو الزمان أما المكان فهو الرياض التي لم تكن آنذاك كما هي اليوم لكنها شهدت ولادة رجل من رجالات التاريخ فهو سليل أسرة عربية أصيلة، كان لها في شبة الجزيرة العربية، ولا يزال، مكانتها المؤثرة في التّاريخ جذورها ضاربة في أعماق هذا البلد هذا الرجل هو ملك القلوب وملك الإنسانية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الملك السادس في دوحة الملكية السعودية اقتبس من المؤسس سمات الحزم والحكمة فقد عاش في كنف والده مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود،و كانت ولادته في مرحلة تاريخية هامة في الجزيرة العربية علقت أحداثها في ذهنه وشكلت ملامح شخصيته الفذة ذات الحضور والتفاعل والتأثير قولاً وفعلاً.

إعداد: مفرح بن غاطي الرشيدي

إنـه عبـدالله بن عبدالعزيـز بن عبدالرحمن بـن فيصل بن تركـي بن عبدالله بـن محمـد بن سعود بـن محمد بن مقرن بـن مرخان بن إبراهيم بـن موسى بن ربيعـة بـن مانع بن ربيعة المريدي وينتهي نسبه إلى بكـر بن وائل من بني أسد بن ربيعة.

وإذا أراد مُريـد أن يذكر حياتـه وصفاته فالحديث عن صفاته حديث طويلٍ ذو شجـون فقد شرب من ينبوع شخصية والده موحـد الجزيرة العربية فكرا وثقافةٍ وورث عِنـه صفاتـه القياديـة الواعية فـورث الحكمـة والتبصر فكان إنسانـا متحـررا من الجمود ومن العصبية وفيـا كل الوفاء صادقا كل الصدق كمـا أنه رجل وعي سياسي والتزام خلقـي لم يناصر باطلا ولم يتعصب لرأي، يؤمـن بالحـوار ويسعـى إليه ويميل بطبعـه إلى البساطـة في العيش فهو يرى نفسـه دائما بين البسطاءِ من الناس، لا يعـرف الكبر ولا التعالي إلى قلبه طريقا طاهـر النفس ومتساميا مع مـكارم الأخـلاق يتعامل مع الآخريـن بكل رحابة صـدر وينصت لمحدثـه بكل هدوء فيوحي له بالاطمئنـانٍ إن تحدث أوجز وإن قـال فعل فهـو مع إحقاق الحـق ومناجزة الباطـل رافقتـه في طفولته وصباه الصفـات العربية فليس غريبـا أن يحمل في أعماق نفسه مزايـا من أهمها النبل وطهارة النفس والحلم وحدة الذكاء.

أمـا حياتـه ـ يحفظـه الله ـ فثلاثة روافـدٍ أثرتٍ بها فقـد كان معلمه الأول والـده ـ طيب الله ثـراه ـ وقـد اثر بـه تأثـيرا جليا فتجـارب والـده في الحكم والسياسـة والإدارة والقيادة هي مدرسته الأولى والرافد الأول أما الثاني فهو ملازمتـه لكبـار العلماء والمفكريـن الذين كان بالغ الحرص علـى لقائهم ولقاء أهل الحل والعقد من داخل المملكة وخارجها فقد تلقى تعليمه على يد عدد من كبـار المعلمين والعلماء وكان تعليمه على الطريقـة الإسلامية التقليدية وهي طريقـة الكتاب ودروس العلماء وحلقـات المساجد وغيرها من وسائل الدرس والتعليم.

و أمـا شغفـه بالقراءة فكان الرافد الثالث في حياتـه فقراءاته التي لا تنقطع في مختلـف المجـالات أكسبتـه معرفـة و إلمامـا في كثـير من الجوانـب الثقافية والسياسية والاقتصادية وقد وفر له ذلك كله ثقافة علمية ودينية واسعة وقد منحـه اطلاعـه أفقا واسعا في التعاطي مع الحيـاة بشؤونها المختلفة فلم يكن يستوحش الكتاب مهما كان رأيه فيه بل كان يرى القراءة رياضة روحية عقلية فاستحـوذت علـى كثير من وقتـه ومع الزمن صـارت القـراءة وحب الاطلاع أولى هوايـات ملـك الشعـب حتى أنـه قال إن قـراءة الكتاب في المسـاء لا تغني عـن قراءته في الصباح وارتبط حبه للقراءة بحبـه للصحراء فحرص أن يظل ابنها الوفي الذي يزورها بين فينة وأخرى. أما الفروسية فكانت الهواية الثالثة فحرص على جمع أصايل الخيـل العربية وشجع الآخرين على المحافظة على الفروسية ورياضة ركوب الخيل فرغم مشاغله العديدة في إدارة شؤون الدولة وأجهـزة الحكم بحكـم مناصبه في الدولة إلا أنه أسس في مدينة الرياض نادي الفروسيـة بحي الملز ومنذ إنشاء النـادي وهو يقوم بدور فريد في تعزيز مكانة هـذه الرياضة العربيـة الأصيلة في نفوسِ أبناء الوطـن وكان خادم الحرمين الشريفين قبل إنشاء النادي ابتعث عددا من السعوديين إلى كثير من العواصم للإطلاع على تنظيم وإدارة نوادي الفروسية ومن المؤكد أن رعايته للفروسية قـد أصلتها في نفوس الشباب وذكرتهم بالعديد مـن صور البطولات التاريخية الناصعة وزرعت في نفوسهم الطموح وحب التضحية.

و منذ وقت مبكر خاض الملك عبدالله بن عبدالعزيز غمار الحياة العملية فقد اختاره الملك فيصل لقيادة الحرس الوطني في العام ١٣٨٢ هـ لخبرته الواسعة بشـؤون البـوادي والقبائـل وكان هذا الحـدث نقلة نوعيّة للحرس الوطنيّ، حيـث تحـول من قـوّات شبه عسكريّـة إلى قـوّات حديثة، مجهـزة مدربة فكان الحرس الوطنـي مؤسسة عسكرية وثقافيـة واجتماعية في آن واحـد . وأنشأ عـددا من المدارس الأكاديمية والفنية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والمعاهد والكليات وتنظيـم مدارس لمحو الأميةٍ وتعليم الكبار وتقديم الرعاية الصحيةٍ المتكاملـة ونشر الوعـي الصحي فضلا عـن تنظيم مهرجان الجنادريـة تأكيدا علـى اهتمامه حفظـه الله بالثقافة وهـذا المهرجان الذي أصبح يقـام سنويا في الجنادريـة منذ ١٤٠٥هـ وتشـارك فيه كل الفعاليات الثقافية من مختلف أنحاء المملكـة ويدعـى إليه المفكرون والعلمـاء من أرجاءِ العالم وقد قال يحفظه الله عـن الحرس الوطني : ما شاهدتـه يجعلني فخورا ومعتدا ومتفائلا بأن جندي الحرس الوطنـي قادر علـى أن يتجـاوز بكفاءة تامـة كل تعقيـدات الأسلحة الحديثـة فقـد تجاوزها واحـدة واحـدة فكلما وضعنـا في يده سلاحـا وقدّرنا لفهمـه فترة زمنية تجاوزهـا بسرعة و ما هذه الدقـة في الرماية والإصابة وما الانضبـاط الحيوية التي رآها الجميع إلا نتيجة جهد شاق ومران صعب قابله في هذه الصحـراء أعواما وشهورا طويلة.

ثـم أصبـح يحفظـه الله النائـب الثـاني لرئيس مجلس الـوزراء في ١٧/٣/١٣٩٥هـ ورئيسا للحرس الوطني فكان لـهِ حضور مميز ومشاركات فاعلة في كل القضايا الداخلية والخارجية فكان قريبا من الأحداث فهو واحد من الهيئة العليـا لإدارة شـؤون الدولـة الاقتصاديـة والسياسية والعسكريـة واتسمت خطواتـه في العمـل العـام بالاتـزان والحكمة وبعـد النظر فضلا عـن اهتمامه الواسع بالقضايا العربية.

وتسلـم خـادم الحرمـين المسؤوليـات في مراحـل مهمة مـن تاريـخ التطور والازدهـار واكتملـت فيهـا البنيـات الأساسية وشهـدت القطاعـات الإنتاجية المختلفـة طفرات من الإصلاحات والتحديث والتنمية بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافيةٍ .وفي الحادي والعشرين من شعبان عام ١٤٠٢هـ بايعه الشعب السعودي وليا للعهد وفي ذات اليوم صدر أمر تعيينه نائبا أول لرئيس مجلس الـوزراء ورئيسا للحرس الوطني بالإضافة إلى ولايـة العهد و في يوم الاثنـين ١٤٢٦/٦/٢٦هـ تمت مبايعته ملـكا للمملكة العربيـة السعودية خلفا لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله.

كمـا أن خادم الحرمين الشريفـين الملك عبدالله بن عبدالعزيز قد تقلد العديد من المناصب ومنها رئاسة مجلس العائلة المالكة ورئاسة المجلس الاقتصادي الأعلـى ونائـب رئيس المجلس الأعلى لشـؤون البـترول والمعـادن و رئيس مؤسسـة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للإسكان التنموي و رئيس نادي الفروسية.

وخـادم الحرمين الشريفين من الشخصيات النـادرة في وطننا العربي التي تتعامل مع الأحداث بكل الصراحة والوضوح والحكمة والاعتدال والشجاعة في مواجهـة المواقف فكلماتـه تخرج حاسمة من نفس مؤمنـة بما تقول وتعتقد .فهـو يحترم مـن يتعامل مع بـلاده بالندية فكرامـة بلده ووطنـه ينبغي أن لا تمس فالعالم وجد ليتعاون والمهم أن يكـون التعاون متكافئا ومجلسه يحفظه الله الـذي يعقـد لمعالجة قضايـا المواطنين يشهـد سياسة البـاب المفتوح التي أصبحت سمة الحكم السعودي.

ومـع المهـام الكبـيرة والمناصـب والمسؤوليـات العظـامِ إلا أنه ظـل يؤدي أدوارا عظيمـة علـى المستويين العربـي و الإسلامي، داعيـا إلى وحدة الصف، والالتقـاء حول مبدأ وحدة الهدف والمصير، بوصف الإسلام رابطا قويا يذيب مابـين الأمة العربية والإسلامية من فـوارق، كما ظل داعية للسلام الدولي، من منطلـق إنسانيـة رسالة الإسلام الـذي غايته إسعاد البشريـة متجاوزا ما بين الأمم والشعوب من اختلاف .

وقـد عرف عـن خادم الحرمـين الشريفـين اهتمامـه البالغ بشـؤون العرب والمسلمـين، وتجسّـد ذلـك في حرصـه الشديد على جمـع كلمتهـم على الحق، ووحـدة الهدف والمصير ولأجـل تحقيق ذلك الهدف قام يحفظه الله بكثير من المحـاولات لاحتواء الخلافـات، وتقريب وجهـات النظر، وقد أطلـق مبادرته للسـلام في الشـرق الأوسط التـي أقرتها القمـة العربية التي عقـدت في بيروت عـام ٢٠٠٢ م وفي أول جلسة لمجلس الوزراء بعـد توليه الحكم أعلن عفوه عن الليبيـين الذيـن حاولوا النيل من امـن المملكة وذلك انطلاقا مـن مبادئ المملكة العربيـة السعوديـة السامية التي تقـوم على لم الشمـل ورأب الصدع والعفو عنـد المقـدرة والترفع عـن الإساءات الموجهـة إليها. كما عـزز خادم الحرمين الشريفـين السياسـة الخارجيـة للمملكـة القائمة علـى احترام سيـادة الدول واستقلالهـا واحترام المواثيق والمعاهدات الدولية وتعزيز التعاون مع الدول العربيـة والتفاهم مع الأسرة الدولية وكان الاهتمام البارز على صعيد مجلس التعاون الخليجي

وعلـى مستـوى العلاقات السياسية فقد قام خـادم الحرمين الشريفين الملك عبـدالله بـن عبدالعزيز بتعزيـز العلاقات مع عدد مـن الـدول الصديقة فكانت الصـين الشعبيـة المحطـة الأولى في جولتـه الآسيويـة التـي بدأهـا في الثـاني والعشريـن مـن ذي الحجة وفي الرابـع والعشرين من ذات الشهـر بدأ زيارة رسميـة إلى الهنـد أمـا ماليزيا فكانـت المحطة الثالثـة في الثلاثين مـن شهر ذي الحجـة ليختم جولته في الجولـة الآسيوية بزيارة لباكستان في الثاني من شهر المحرم ١٤٢٧هـ.

وقـد اختير خـادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بـن عبدالعزيز آل سعود الشخصية الخليجية الأولى، وذلك وفق نتائج الاستطلاع التي أجرتها صحيفة البيـان في دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة لاختيـار شخصية العـام ٢٠٠٥ السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية والرياضية والنسائية على المستوى المحلـي والخليجي والعربـي. وكان حصول خادم الحرمـين على هذا الترتيب مرتبطـا بتاريخه وحنكته السياسية التي انعكست آثارها على مواطني المملكة سياسـي واقتصادي، وكان لها الأثر على مسـيرة التعاون الخليجي والقضايا العربيـة ولا سيما القضية الفلسطينية والمسألـة العراقية واللبنانية وغيرها، ولذا استحق باعتراف الجميع أكثر شخصية متميزة للعام الماضي.

أمـا في داخل البـلاد فمع توليه مقاليد الحكم ارتفعـت وتيرة الدعم والمحبة الشعبية له في المجتمع السعودي لدعمه لمنهجية الإصلاح السياسي ورغبته في تحسين الوضع المعيشي لأبناء شعبه ولتواضعه وبساطته وقربه الوثيق من شعبه إثر جولاته الميدانية التي شملت الأماكن العامة للمواطنين فقام بإقرار عدد من القرارات التي لاقت ترحيبا شعبيا كبيرا ومنها الإعلان عن مشروعات اقتصادية ضخمة منها (مدينة الملك عبدالله الاقتصادية) وعدد من المشروعات المشتركـة مع دول العالم في مجالات الطاقة والصناعة و زيادة رواتب موظفي الدولـة بنسبـة ١٥٪. وخطـوات إصلاحيـة اقتصاديـة في سوق المـال وأيضاً التوسـع في برامـج الابتعـاث للخـارج وكذلك خفض أسعار الوقـود و زيادة الحـد الأعلى لمخصصات الضمان الاجتماعي للأسرة ولرغبته الصادقة في أن يكون قريبا من أبناء شعبه فقد اهتم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيـز بلقاء المواطنين من خلال جولات تفقدية شملت كافة أرجاء المملكة قد امتدت لأسابيع، وعكست الحوارات المباشرة مع الشعب حجم التلاحم بين المواطنـين وقياداتهم، وكرست الحب والإخلاص والـولاء على أسس راسخة مـن تقاليد التراحـم والاحترام.وقد افتتـح في إطار هذه الجـولات العديد من المشاريـع الإنمائيـة والسـدود والمؤسسـات الصحية والمصانـع والجامعات والمعاهد التربوية وشبكات الري ومشاريع الكهرباء.

وخـادم الحرمـين الشريفين يبذل مـن الجهد والتضحيـات الشيء الكثير في مسـيرة البنـاء وفق خطـة تنموية تهدف لتحقيـق النمو المتـوازن بين مناطق المملكـة وتركز علـى تنمية القـوى البشريـة ورفـع كفاءاتها لتلبيـة متطلبات الاقتصـاد الوطنـي والاستمرار في تشجيـع القطاع الخاص وعمليات التنمية الاقتصاديـة والاجتماعية وتنويع القاعدة الإنتاجيـة بالتركيز على الصناعة والزراعة.وكذلـك تحقيـق التكامل الاقتصـادي والاجتماعي بـين دول مجلس التعـاون الخليجـي وأيضا تقويـة علاقة المملكـة بالدول العربيـة والإسلامية والـدول الصديقة ودفع النشـاط العلمي لمواكبة التطور الـذي تشهده المملكة وهذا كله تسبقه المحافظة علـى القيم الإسلامية وتطبيق الشريعة وترسيخها ونشرهـا، والدفـاع عـن الديـن والوطـن والمحافظة علـى الأمـن والاستقرار الاجتماعي للبلاد. وقد حمل الملك عبدالله بشائر الخير للمواطنين بميزانية هذا العام وهي أعلى ميزانية شهدتها المملكة و مقدارها ٣٣٥ مليار ريال.

وهـو ـ يحفظـه الله ـ يثق ويتفاءل كثيرا بمستقبل المملكة و الأمة في مواجهة التحديـات بيقين المؤمن الصادق بقوله: لدينا خط مضمون العقيدة الإسلامية وطالمـا نحن متمسكون به فإن المخاطر غـير واردة وليس لدينا شهوات للحكم ولا توجد صراعات بين شخصيات الحكم ولكل منا دوره في تأمين استقرار بلده وخدمة شعبه فللمملكة دور قومي ولها دور إسلامي ورجال الحكم عندنا يعون هذه الأدوار ولذلك ليس هناك مبرر لكي يفرط الخلف بما صنعه السلف.

وهـو يؤكد أن تعقيـدات الحياة ومشاكلهـا لن تفصل القيـادة عن القاعدة فهـي تعيش آمالها وطموحاتها بلا حواجز فالأبـواب مفتوحة والقلوب واعية فلا مجـال للتردد في النصيحـة والمشورة فخادم الحرمين قـد أعلن ذلك وقال: الحيـاة المعاصرة بتعقيداتها لـن تبعدنا عنكم ولا عن ذكريـات عشناها سويا من مئات السنين فنحن منكم قلبا وقالبا ومن لم يفهم ذلك منا ويعيه فليستيقظ عليه كائنا من كان ونحن ولله الحمد بفضل الله ثم بفضل الإسلام لسنا أكاسرة ولا أباطرة أدبنا أدب الإسلام ولا عزة لنا إلا بالله ثم بالإسلام.